الباب الثالث

جماعات الصفوة فى السياق المعاصر للريف المصرى

الفصل التاسع : التركيب الاجتماعى لجماعات الصفوة فى الريف فى السياق المعاصر

الفصل العاشر : التفاعل الرأسى والافقى بين جماعات الصفوة فى السياق المعاصر : اشكال التحالف والصراع

الفصل الحادى عشر : التحول فى تركيب جماعات الصفوة ومواقفها فى السياق المعاصر

الفصل السابع

التركيب الاجتماعى لجماعات الصفوة فى الريف

فى السياق المعاصر

مقدمة :

يستهدف هذا الفصل تقديم بيانات امبيريقية ميدانية ـ من قريتين مصريتين ـ تتصل بالمجموعة الاولى من الفروض الخاصة بتركيب جماعات الصفوة فى الريف المصرى • ويعد هذا الفصل امتدادا للتحليل الذى قدمناه فى فصل سابق عن تركيب جماعات الصفوة فى السياق التاريخى ، حيث يقدم لنا الصورة المعاصرة لهذا التركيب • وفى ضوء هذا الهدف فان هذا الفصل يحاول بالتحديد الكشف عن ماهية جماعات الصفوة الموجودة بالمجتمع الريفى فى الوقت الحاضر ، ومدى تباين هذه الجماعات أو تجانسها ، والأصول الاجتماعية لهذه الجماعات ، وعلاقتها بالبناء الطبقى القائم • وفضلا عن ذلك فانه يحاول أن يكشف عن مدى تباين أو تجانس طرق الانضمام الى الصفوة أو مايمكن أن نسميه طرق التوافد الى الصفوة recruitment of Elite members والتصورات التى يكونها الافراد عن الصفوة وتلك التى تكونها الصفوة عن نفسها • وأخيرا فانه يحاول أن يكشف عن مستويات الوعى الاجتماعى والوضوح الأيديولوجى لدى الفئات المختلفة للصفوة •

ووفقا للخط العام المتبع فى هذا البحث فان كل هذه الأمور يجب أن ترتبط ـ على المستوى التحليلى ـ بالسياق الاجتماعى والثقافى للمجتمع الريفى والمجتمع المصرى بعامة • ويفرض علينا هذا أن يبدأ التحليل الميدانى

بتقديم صورة عامة ـ وسريعة ـ عن الاطار الاجتماعى العام للمجتمع المصرى ، والتغيرات التى طرأت عليه فى فترة السبعينات ، والتى من المحتمل أن تؤثر على تركيب الصفوة • وهذا الاطار العام هو مدخلنا الى خصوصيات الدراسة فيما يتعلق بجماعات الصفوة ، وهو أمر أكدناه أكثر من مرة على طول هذه الدراسة •

وقبل تحديد العناصر التى يشتمل عليها هذا الفصل لابد من الاشارة الى أن نطاق التحليل هنا قد يمتد ـ فى بعض الأحيان ـ الى الوراء لكى يكشف عن التباين أو التجانس الذى يتميز به تكوين الصفوة • وهذا أمر طبيعى طالما أن الصفوات القائمة الآن هى نفس الصفوات التى وجدت فى العقد الماضى ، بل أن بعضها كان موجودا فى العقد قبل الماضى كالعمد والمشايخ • وفضلا عن أن مثل هذا التتبع سوف يكشف لنا عن التباين أو التجانس فى تركيبه الصفوة ، فانه سوف يتيح لنا فرصة للمقارنة بين العقد السابع والعقد الثامن من هذا القرن من حيث تأثير الظروف المجتمعية الكبرى على تركيب بناء الصفوة فى الريف •

وفى ضوء الأهداف المحددة فيما سبق فان هذا الفصل سوف يضم العناصر الثلاثة التالية :

أولا : الاطار الاجتماعى الثقافى العام : اضافة السبعينات
ثانيا : التركيب الاجتماعى للصفوة وخصائصها العامة •
ثالثا : الوعى الاجتماعى بين جماعات الصفوة •

أولا : الاطار الاجتماعى الثقافى العام : اضافة السبعينات

شهدت فترة السبعينات تغيرا حاسما فى التوجية الأيديولوجى للصفوة القومية بعد عملية الاحلال الشهيرة التى شهدتها هذه الصفوة فى مايو ١٩٧١ • واتجه هذا التوجيه الأيديولوجى ـ الذى اتخذ من مفهوم « الديموقراطية الاشتراكية » شعارا له ـ نحو تشجيع العلاقات الاقتصادية الليبرالية ، التى

فتحت بدورها الباب على مصراعيه أمام القطاع الخاص • وترتب على ذلك أن عاد النسق الاجتماعى المحلى الى الارتباط بقوة بالنسق الرأسمالى العالمى • وفى هذه الظروف لابد أن يطل النمط الرأسمالى التابع برأسه من جديد فى مجال السيطرة داخل التكوين الاجتماعى ، بعد أن اهتزت قوة السيطرة لفترة فى عقد الستينات • ولقد بدأت آثار هذا التغير تترك بصماتها على مكونات البناء الاجتماعى • فعلى المستوى الاقتصادى نشطت علاقات السوق ، وتغير نطاق مجالات الاهتمام الاقتصادى فيما يتعلق بالزراعة والصناعة وفيما يتعلق بالأعمال المنتجة وغير المنتجة • وعلى المستوى الطبقى بدأت عناصر الاستقطاب الطبقى تظهر داخل البناء الطبقى غير المتجانس • وعلى المستوى الثقافى تعمقت مظاهر التشوه الثقافى حيث انتشرت القيم الاستهلاكية الترفية ، وتغيرت مستويات التقييم الشعبى ومعايير الحكم على الفئات المختلفة المرتبطة بهذا التقييم • وعلى المستوى الأيديولوجى ظهر الدفاع قويا عن الليبرالية المحافظة بين عناصر الصفوة الحاكمة ، وان كان هناك بعض الجماعات التى ترفع راياتها الأيديولوجية المضادة على استحياء • ومن الطبيعى أن تنعكس كل هذه التغيرات على التنظيم السياسى للمجتمع • فلابد أن يخلق الواقع الجديد بعض المستلزمات السياسية التى تساهم فى تدعيمه واستمراره • فكان الالغاء التدريجى لنظام الحزب الواحد (الاتحاد الاشتراكى) ، والتدرج نحو صياغة واجهة ديموقراطية تسيطر فيها الطبقة صاحبة المصلحة فى النظام الجديد • وكان تعديل قانون الحكم المحلى بحيث أصبح المجلس المحلى أحد قنوات صناعة القرار على المستوى المحلى • وكان انشاء مجلس الشورى موازيا فى تكوينه لمجلس الشعب ومساعدا له فى اصدار التشريعات التى تتطلبها الصياغة الجديدة للبناء الاجتماعى •

ولقد فرضت علينا هذه التغيرات أن نتعرف ـ من خلال الدراسة الميدانية التى أجريت على قريتين ـ على التأثيرات التى تركتها على البناء الاقتصادى الاجتماعى للريف ، ليكون ذلك أساسا نفهم فى ضوئه تركيب جماعات الصفوة وما يمكن أن يكون قد طرأ عليها من تحولات •

ما تزال الزراعة هى النشاط الاقتصادى الأساسى لسكان القريتين ، وان كانت ظروف التغير السابق الاشارة اليها قد دعمت وعمقت الانشطة الهامشية الأخرى من حول الزراعة • ويبلغ زمام القرية الاولى (بنى واللمس) حوالى ٧٩٤ فدانا ، فى حين يبلغ زمام القرية الثانية (سحيم) حوالى ٨٠٩ أفدنة•ويزرع المساحة الأولى ٥٦٩ حائزا ، فى حين يزرع المساحة الثانية ٦٧١ حائزا • ولكن هذا لا يعنى أن تغيرات السبعينات لم تترك تأثيرا على النشاط الاقتصادى الأساسى فى القرية • على العكس من ذلك لقد تركت تأثيرات بالغة على تعميق أسلوب الاستغلال الرأسمالى للارض وتطوير اساليب الانتاج • وان كانت لم تقض على بعض مظاهر التوجيه المركزى لزراعة المتمثل فى تحديد الدورات الزراعية وتسويق بعض المحاصلات الزراعية• ولقد تبدى هذا التعمق للرأسمالية فى بعض المظاهر منها :

١ ـ ارتفاع سعر الأرض كسلعة وزيادة التنافس على شرائها مع ازدياد تداول النقد وتعدد الانشطة الاقتصادية • فقد ارتفع سعر الفدان فى القرية الأولى من حوالى ١٠٠٠ جنيه عام ١٩٧٠ الى ٧٠٠٠ جنيه عام ١٩٨٠ • وارتفع سعر الفدان فى القرية الثانية من ٨٠٠ جنيه عام ١٩٧٠ الى ٧٥٠٠ جنيه عام ١٩٨٠ :

٢ ـ التوسع فى تطوير أدوات الانتاج خاصة أدوات الرى والحرث ودرس الحبوب ، خاصة مع النقص المستمر فى الأيدى العاملة الزراعية التى هيأت لها الظروف الجديدة فرصا للعمل فى المنشآت المعمارية بالقاهرة أو السفر الى البلاد العربية • فلم يكن بالقرية الاولى عام ١٩٧٠ الا جرار واحد (الخاص بالجمعية الزراعية) ، وأصبح بها الآن اكثر من ٥ جرارات • ولم يكن بها اى ماكينة رى بها الآن ما يزيد عن ١٥ ماكينة رى • اما القرية الثانية فيها الآن أربع جرارت وبعض ماكينات الرى ولم يكن بها منذ خمس سنوات الا جرار الجمعية الزراعية •

٣ ـ التوسع والاهتمام بالمحاصيل التجارية غير التقليدية • فقد كانت كل قرية من القريتين تقليدية الزراعة ولا تهتم بزراعة المحاصيل التجارية الا تلك التى تحدد فى الدورة الزراعية • أما الآن فان هناك اهتماما بزراعة «الكسبرة» و «عباد الشمس» و «فول الصويا» و «الخضراوات» فى القرية الاولى ، والقصب والفاكهة والخضراوات فى القرية الثانية •

٤ ـ من خصوصيات هذا التطور الرأسمالى أن صاحبه نقص فى قوة العمل بالريف • هذا النقص لا يمكن أن يعزى الى تقلص التحول البروليتارى• فهذه العملية مستمرة وبكثافة من جراء تفتت الملكية من ناحية ، والاقدام على بيع الأرض الزراعية (خاصة القطع الصغيرة) والسفر للعمل بالخارج • ويبدو أن السفر للعمل بالعراق والسعودية أو القاهرة لعب دورا اساسيا فى نقص الأيدى العاملة • ويشكو أصحاب الأرض فى القريتين من نقص الأيدى العاملة ومن ارتفاع أجر عمال الزراعة ، الذين **أصبحوا يشترطون الأجر وكمية العمل المقابل لها وزمن هذا العمل** •

٥ ـ ومن خصوصيات هذا التطور أيضا أن صاحبته بعض الانشطة الرأسمالية غير الزراعية • وهى فى معظمها انشطة طفيلية تعيش على امتصاص جزء من فائض العمل الزراعى ، والعمل خارج الوطن • وأهم هذه الانشطة امتلاك سيارات الأجرة والنقل • فالقريتان اللتان لم يكن بهما اى نوع من هذه السيارات قبل خمس سنوات ، أصبحت كل منها تمتلك ما يربو على سبع سيارات من سيارات الأجرة والنقل الخفيف والنقل • ومن الانشطة الأخرى التى بدأت فى الانتشار ، نشاط المقاولات فى أعمال المبانى والرى • وتعرف كل من القريتين هذا النوع من النشاط • وفضلا عن هذا فقد تعمق نشاط « السوق السوداء » فى الريف ، فقد طفق بعض الناس يتاجرون فى الأسمدة والمنتجات الزراعية التى تسوق تعاونيا فضلا عن الاخشاب والحديد والأسمنت وهو نشاط يرتبط بأعمال

المقاولات فى الكثير من الأحيان (١) ٠

٦ ـ ترتب على ذلك ألا تنمو الانشطة الانتاجية غير الزراعية الا بشكل محدود وفى أضيق الحدود ٠ وتمثلت هذه الانشطة فى بعض مشروعات تربيـة الحيوانات ، والمناحل ٠ وبرغم دخول الكهرباء فى القريتين الا انها لم تساهم حتى الآن فى خلق أى نشاط صناعى ٠

وبالرغم من هذا التعمق للنمو الرأسمالى فى اتجاهات مختلفة ، الا أن ذلك لم يقض تماما على بعض أشكال العلاقات الاقتصادية الموجبة والمتمثلة فى قيام الحكومة بشراء المحصولات من الفلاحين ، وتكليف الفلاحين بتوريد كميات معينة على فدان (٢) ٠ كما توجد أيضا بعض العلاقات الانتاجية غير الرأسمالية : فما يزال العمال الزراعيون فى غالبيتهم يستخدمون بعض آلاتهم الخاصة فى عملية الانتاج ، كما توجد بعض صور العمـل القديمـة بالقريـة كالتلية ٠ هذا فضلا عن أن النشاط الزراعى يكشف فى داخليته عن تباين ظاهر، فلا يتجه كل المزارعين نحو الانتاج للسوق بزراعة المحاصيل التجارية كالحدائق والقصب والخضراوات،فما يزال هناك بعض المزارعين الذين ينتجون محاصيل معيشية للاستهلاك الخاص (وان كان جزء من فائض العمـل يتم تداولـه

---

(١) لم تكن أى من القريتين تعرف النشاط التجارى بشكل مكثف ٠ فلم يكن هناك سوى بعض الوسطاء الذين كانوا يعملون بتجارة القطن (فى نطاق محدود جدا) وبعض المحاصيل الأخرى ٠ ولكن ظروف السبعينات قد هيأت لهؤلاء وغيرهم فرصة العودة الى النشاط التجارى والدخول فى عمليات تجارية من نوع جديد كالاتجار فى المحاصلات الزراعية التى تسوق تعاونيا ، والاتجار فى المبيدات الزراعية والأسمدة ، والاقمشة ، ولوازم البناء ٠ ولا يغيب عن الذهن هنا أن تفسير نشأة هذا النوع من النشط يرتبط بازدياد التكامل بين مصر والنسق الرأسمالى العالمى ، وما ترتب على ذلك من تدفق السلع الاستهلاكية وفتح مكاتب تركيلات للشركات العالمية التى تهتم بتسويق منتجاتها فى مصر ٠

(٢) تتمثل هذه المحصولات فى القطن والذوم والقمح والفول فى القرية الاولى ، والقطن والقمح والفول فى القرية الثانية ٠

واستملاكه بواسطة وسطاء آخرين عندما يضطر هؤلاء الى بيع جزء من محصولاتهم المعيشية لسد أشياء أخرى) • وأكثر من ذلك فما تزال هناك بعض الأسر التى تعمل كوحدات انتاجية متكاملة بحيث يمكن القول بأن النشاط الرأسمالى لم يؤد الى تحلل الأسرة كوحدة منتجة ويحدث هذا عادة فى الملكيات الصغيرة التى لا تسمح بتوفير فائض للعمل المأجور ، والتى لا يستطيع بعض أفراد الأسر التى تمتلكها أن يمارسوا نشاطا مغايرا للزراعة أو حتى الدخول الى نطاق العملية التعليمية للانتقال الى نشاط آخر من خلال التعليم • وحتى اذا تعلم بعض أفراد الأسرة فانه يفضل الاقامة فى القرية للاشتراك فى العملية الانتاجية الزراعية • وفى هذه الحالة يميل نشاط الأسرة الى التعدد وذلك لاستخدام الفائض من عائد « الوظيفة » فى أنشطة أخرى كتسمين الماشية • وتشير كل هذه البيانات الى تعدد وتجاوز أشكال النشاط الاقتصادى المختلفة • فالناظر الى القرية فى السياق المعاصر يستطيع أن يرى معظم التراكمات التاريخية السابقة • فخصوصية التطور وعدم تكافؤه تؤدى دائما الى أن يوجد كل تغير يحدث بجانب ما هو قائم فعلا دون الغائه تماما• وهذا هو السبب فى أننا نجد أشكالا للنشاط الاقتصادى غير متجانسة ، وأشكالا للعلاقات الانتاجية غير متجانسة أيضا •

ولا يقتصر عدم التجانس هذا على المستويات الاقتصادية بل يظهر بشكل جلى فى المستويات الثقافية • فقد أدت ظروف الانفتاح الاقتصادى وما صاحبها من ظروف التوسع فى الهجرة الى البلاد العربية للعمل السريع والعودة مرة أخرى الى القرية ، أدت الى انتشار بعض القيم الاستهلاكية الترفية • وبرغم تباين الطبقات والشرائح الاجتماعية فى درجة تبنى هذه القيم ، الا أنها تنتشر عند كل الفئات الاجتماعية أما بشكل واقعى أو فى شكل طموحات يحاول الفرد غير القادر أن يحققها (دائما بمحاولة السفر الى الخارج) • ولقد تحول السفر فى كنف هذه القيم الى رمز للمكانة الاجتماعية • فهى تدل فى نظر حامليها الى رغد العيش والاستقرار بالرغم من أن الحال ليس كذلك فى معظم الأحوال • ولا يتسع المجال هنا لتفسير نشأة هذه القيم المشوهة وعلاقتها

بالبناء القائم ، وتكفى الاشارة هنا الى ان ذلك الانتشار يعد مؤشرا على جنوح الثقافة وتشوهها مع سيطرة النمط الوث من الرأسمالية • على أن هذا النوع من القيم ليس هو النمط السائد فقط • فهى توجد جنبا الى جنب مع قيم حديثة أخرى ومع التراث التقليدى بكل تباينانه الداخلية • فما تزال علاقات القرابة تعمل كقوة موجهة للسلوك فى القريتين • وما تزال العادات والتقاليد والمعتقدات باقية دون أن يمسها تغيير الا فى النذر اليسير • وما تزال هذه اعادات والمعتقدات تختلط ببعض أمور الدين بحيث لا يظهر عند كافة الناس ـ بما فيهم المتعلمون ـ فصل بين الدين الرسمى وبين هذه المعتقدات والعادات • وجملة القول أن المستويات الثقافية تكشف هى الأخرى عن عدم تجانس وعن تجاور لا يتوازى فقط مع أشكال الانتاج وعلاقاته ، وانما يؤدى دورا هاما فى استمرار هذه الاشكال وفى تدعيم البناء برمته •

وفى ضوء هذا يتسم البناء الطبقى فى القريتين بعدم التجانس أيضا ، بالرغم من أن عدم التجانس هذا لا يظهر باديا للوهلة الاولى • ونبدأ فى توضيح هذا اللاتجانس من خلال استعراض فئات الحيازة المختلفة فى القريتين :

جدول رقم (١)

توزيع فئات الحيازة فى القريتين

الفئات	عدد الحائزين		عدد الحائزين		الجملة	
	القرية الأولى		القرية الثانية			
	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪
اقل من فدان	١٩٢	٣٣ر٨	٣٤٧	٥١ر٧	٥٣٩	٤٣ر٤٦
من ١ ـ ٣	٣٥٦	٦٢ر٣	٢٨٢	٤٢	٦٣٨	٥١ر٤٥
من ٣ ـ ٥	١٨	٣ر٣	٣٦	٥ر٤	٥٤	٤ر٣٥
من ٥ ـ ١٠	٢	٤ر	٦	٩ر	٨	٦٥ر
اكثر من ١٠	١	٢ر	—	—	١	٠٩ر
المجموع	٥٦٩	١٠٠	٦٧١	١٠٠	١٢٤٠	١٠٠

المصدر : تم تفريغ هذا الجدول من خلال الكشوف الفعلية للحيازة بالجمعية التعاونية فى كل قرية

ويكشف الجدول عن تجانس واضح فى حجم الحيازة • فمعظم الحائزين يتركزون فى فئة أقل من فدان وفئة من فدان الى ثلاثة أفدنة • ولكن عندما ننتقل الى الفئة من ٣ ـ ٥ نجد أن عدد الحائزين ينخفض بشكل درامى (١٨ حائزا فى القرية الاولى بنسبة ٣ر٣٪ من عدد الحائزين فى هذه القرية ، و ٣٦ حائزا فى القرية الثانية بنسبة ٤ر٥٪ من مجموع الحائزين فى هذه القرية) • وينخفض العدد أكثر فى الفئة التالية من ٥ ـ ١٠ حيث يوجد حائزان فقط فى القرية الأولى وستة حائزين فى القرية الثانية ، ولا يوجد تقريبا حيازات فى الفئة أكثر من ١٠ الا حائزا واحد فى القرية الاولى • ومع ذلك تظل هذه البيانات غير كاشفة عن التباين فى البناء الطبقى القائم •

ولكن من تأمل كشوف الحيازة ومقارنة الأسماء التى تنتهى الى أسر واحدة ، ومن خلال التعرف على ظروف القرية ، اتضح أن بيانات الحيازة لا تكشف ـ ولا تعكس ـ التوزيع الفعلى للحيازة حيث يظهر لدى الفلاحين اتجاه نحو توزيع الحيازة على الأولاد والزوجات بحيث لا يظل مع رب الأسرة الا نسبة ضئيلة منها • وعلى سبيل المثال فان القرية الاولى تعرف ملكيات كثيرة أكثر من ١٠ أفدنة ومع هذا فانه لا يوجد فى كشوف الحيازة الا حائز واحد داخل هذه الفئة • ومثل ذلك يقال عن القرية الثانية • فكشوف الحيازة لا تكشف الا عن حائزين تزيد ملكيتهما عن ٥ أفدنة ، ولكن الواقع يكشف عن أن هناك أفرادا أكثر من هذا ممن يملكون أو يحوزون ملكيات أو حيازات أزيد من عشرة أفدنة ، بل أكثر من عشرين فدانا (٣) • وبناء على تلك الحقيقة ، فان التوزيع الفعلى للحيازة على الأسر المختلفة داخل القرية يمكن أن يكشف عن قدر من التباين فيما يتعلق بملكية الأرض ، وهو تباين يمكن أن يرتبط بشكل استغلال هذه الأرض على ما أشرت فى مكان سابق فى هذا الفصل •

---

(٣) يرجع السبب فى تجزىء الحيازة على هذا النحو الى قانون الضرائب الذى يقرر عدم تحصيل ضرائب على الملكيات التى تقل عن ٣ أفدنة ، والى بعض الأمور العملية الأخرى •

على أن هذا التباين الطبقى لا يرتبط فقط بحجم الحيازة وشكل استغلال الأرض ، وانما تدعمه عوامل أخرى على رأسها ملكية وسائل الانتاج خاصة الآلات الزراعية التى يقوم أصحابها من المزارعين بتأجيرها للفلاحين • هذا فضلا عن تربية الماشية والنحل ، ومصادر الكسب الأخرى من سيارات الأجرة والنقل • ولقد اتضح من الدراسة الميدانية أن بعض الذين يمتلكون أدوات الانتاج من الجرارات وماكينات الرى ، وبعض الذين يشتغلون بالانشطة الأخرى غير الزراعة هم أولئك الذين ينتفعون بحيازات ذات حجم كبير • وهنا يمكن القول أنه كلما ارتفع حجم الحيازة كلما مال النشاط الاقتصادى نحو التعدد ، وكلما تعددت بالتالى مصادر الدخل ، وزداد التباين الطبقى • وبناء على ذلك فاننا نستطيع أن نميز دخل المشتغلين بالزراعة بين أربع طبقات أساسية : طبقة برجوازية زراعية تحوز مساحة **معقولة** (٤) من الأرض وتستغل أرضها فى زراعة المحاصيل التجارية غير التقليدية التى تدر دخلا عاليا • وطبقة وسطى يحوز أعضاؤها مساحات أقل من الأرض أو نفس المساحات التى يحوزها أعضاء الطبقة السابقة ، ولكنهم لا ينخرطون فى أنشطة متعددة ولا يميلون نحو استغلال أرضهم فى زراعة المحصولات التجارية غير التقليدية • وطبقة صغار الفلاحين الذين يحوزون مساحات صغيرة من الأرض ويزرعون المحاصيل التقليدية والمعيشية ويعملون فى أرضهم بأيديهم أو من خلال « المزاملة » (٥) • وأخيرا العمال الزراعيون الذين لا يمتلكون أو يحوزون أرضا على الاطلاق ، أو يزرعون بعض القراريط التى لا تغنيهم عن العمل المأجور •

وقد يكشف لنا ذلك عن تباين البناء الطبقى ، غير أنه قد لا يكشف بدقة

---

(٤) يبدو أنه من الصعب أن نربط بين الحيازة فى حد ذاتها وبين المستوى الطبقى على الاقل فى القريتين اللتين أجريت فيهما الدراسة ، طالما أن الذى يكشف عن الطبقة ليس الحيازة فى حد ذاتها وانما ما يرتبط بها من استغلال رأسمالى للارض وأنشطة أخرى مرتبطة بالزراعة أو خارجة عنها •

(٥) يعرف نظام المزاملة فى القرية الثانية ، ويعرف فى القرية الاولى ولكن تحت اسم « المساعدة » ويرتبط بالقرابة بمعنى أن المساعدة تتم من أقرباء أساسا •

عن عدم تجانسه • ويمكن أن يتضح لنا عدم التجانس بشكل أكثر دقة من الشرائح التى توجد خارج نطاق المشتغلين بالزراعة • فهناك الموظفون وبعضهم يمتلك أرضا ويمكن أن نصنفهم داخل الفئات السابقة ، ولكن يبقى التعليم الذى يتمتعون به دون غيرهم عاملا فى تميزهم خاصة وأن معظمهم يحتقر العمل اليدوى المتعلق بالزراعة أو على الاقل لا ينخرطون فيه • ولقد قابلت فى القريتين بعض المتعلمين العاملين بالقرية لا يعرفون بالضبط أين تقع أرض الأسرة ،بمعنى أنهم لا يستطيعون أن يميزوها عن الأرض المجاورة لها • وهناك بعض التجار الذين لا يعملون بالزراعة (فاما أنهم باعوا أرضهم الزراعية واشتغلوا بالتجارة . وأما أنهم سافروا الى الخارج للعمل وعادوا ليعملوا ببعض الاعمال التجارية خاصة فتح محلات البقالة أو بالاتجار فى الدقيق والأسمدة والمبيدات الزراعية) • وهناك الحرفيون الذين يعملون بالتجارة والحدادة والحياكة • وهناك الفلاحون الذين تم تعيينهم فى وظائف عمالية بالمصالح الحكومية بعد أن قضوا فترة طويلة فى الخدمة العسكرية • وهؤلاء يتشبهون بالموظفين المتعلمين فى سلوكهم فى تطلعاتهم وفى عدم اهتمامهم بالعمل فى الزراعة • وهناك أخيرا « الاثريا الجدد » الذين لايعملون بالزراعةولايهتمون بالاستثمار فيها بقدرا اهتمامهم بالمشروعات التى تدر عليهم دخلا سريعا كتشغيل سيارات التاكسى والنقل والعمل بالمقاولات •

وفى وجود هذه الشرائح بجانب التركيب الذى حددت معالمه فيما سبق ، فان البناء الطبقى يبدو غير متجانس • حقيقة أن بعض هذه الشرائح يمكن أن تصنف داخل الطبقات الزراعية ، ولكن تبقى دائما فئات لا يمكن تصنيفها فهى اما فوق الطبقات جميعا كالاثرياء الجدد ، واما خارج التركيب القائم برمته كالحرفيين وأصحاب محلات البقالة الصغيرة • وجملة القول أن وجود هذه الشرائح بجانب التركيب الطبقى الأساسى القائم على النشاط الزراعى والانشطة الاخرى المرتبطة به قد أدى الى عدم تجانس البناء الطبقى فى الريف ، وهو أمر تدعم وجوده سرعة الحركة من نشاط الى آخر والانخراط فى انشطة مختلفة فى ذات الوقت • ولا شك فى أن وجود بناء تركيب طبقى على

هذا النحو سوف يؤثر على تشكيل جماعات الصفوة جنبا الى جنب مع العوامل البنائية الاخرى خاصة اشكال النشاط الاقتصادى واشكال الثقافة المسيطرة • فما هى اذن نوعية العلاقة بين تركيب بناء الصفوة وبين هذه المكونات البنائية ؟ وما هو بالتحديد تركيب جماعات الصفوة المعاصرة فى الريف ؟ ينقلنا هذان السؤالان الى الفقرة التالية مباشرة •

ثانيا : التركيب الاجتماعى للصفوة وخصائصها العامة

نتجه هنا نحو تحليل التركيب الاجتماعى للصفوة المعاصرة فى الريف وكذلك الخصائص العامة لهذه الصفوة ، وذلك فى ضوء الاطار الاقتصادى الثقافى الذى حددنا معالمه فيما سبق • ويعنى ذلك أننا نتجه نحو الكشف عن اجابة السؤال الآتى : من هم جماعات الصفوة فى الريف الآن ؟ ومن هذا السؤال البسيط نستطيع أن نشتق بعض الاسئلة الفرعية : هل تتباين هذه الجماعات وتتعدد أو أنها تتشابه وتتجانس ؟ ما هى الأصول الاجتماعية لكل منها ؟ وما هى قنوات التوافد لهذه الجماعات ، بمعنى ما الذى يجعل الشخص عضوا فى الصفوة ؟ وما هى دلالة التعليم كأحد قنوات التوافد هذه ؟

أمكن من خلال الأسلوب المنهجى المتبع فى هذه الدراسة التعرف على الافراد الذين يمكن أن نعتبرهم صفوة فى القريتين • وكان عدد هؤلاء الافراد ٣١ فردا فى القرية الاولى و ٣٠ فردا فى القرية الثانية • ووفقا لتعريف كل من الصفوة القديمة والصفوة الجديدة المأخوذ به فى هذه الدراسة أمكن تقسيم هؤلاء الى صفوة قديمة وصفوة جديدة • تضم الصفوة القديمة فى القرية الاولى ٢٥ عضوا ، والجديدة ستة أعضاء • أما فى القرية الثانية فان الصفوة القديمة تضم ٢٣ عضوا ، والصفوة الجديدة ٧ أعضاء • ونقدم فيما يلى وصفا لبعض الخصائص لمجموع أعضاء الصفوة القديمة والجديدة فى القريتين على أن نوضح الفروق بين الجماعتين بحيث يتبدى أمامنا مدى صدق المعيار الذى اتخذناه للتفرقة بين الجماعتين • هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى فان هذه الخصائص سوف تميط اللثام عن الأصول الاجتماعية لأعضاء الصفوة ، ومدى ما يتمتعون به من قوة اقتصادية وسياسية •

قد يظهر للوهلة الاولى أن هناك ارتباطا بين عضوية الصفوة وبين التعليم كما يشير الى ذلك الجدول التالى (٦) :

جدول رقم (٢)

توزيع أعضاء الصفوة الجديدة والقديمة وفقا للمستويات التعليمية

مستويات التعليم	القرية الاولى		القرية الثانية		المجموع
	الصفوة القديمة	الصفوة الجديدة	الصفوة القديمة	الصفوة الجديدة	
يقرأ ويكتب	١٤	١	١٢	—	٢٧
أقل من متوسط	١	—	—	—	١
متوسط	٧	٢	٧	٥	٢١
عـال	٣	٣	٤	٢	١٢
المجموع	٢٥	٦	٢٣	٧	٦١

يظهر من هذا الجدول أن معظم أعضاء الصفوة سواء القديمة أو الجديدة اما أنهم يعرفون القراءة والكتابة أو يحملون شهادات • فليس هناك أمى واحد بين أعضائها • كما أن الحاصلين على شهادات متوسطة أو عالية بين أعضاء الصفوة القديمة يقترب من النصف فى القرية الاولى والثانية • كما أن مجموع الحاصلين على شهادات عالية فى القريتين قد بلغ ١٢ عضوا بنسبة ١٩٫٦٪

(٦) تم جمع هذه البيانات وبيانات الجداول التالية من خلال صحيفة بياناته أساسية •

من مجموع أعضاء الصفوة فى القريتين • غير أن البيانات الكمية والكيفية عن هؤلاء الافراد تكشف عن زيف هذه العلاقة بين عضوية الصفوة وبين التعليم • فمن الناحية الثقافية هناك شك كبير فى جدوى التعليم فى خلق أنماط من البشر يختلفون عن نظرائهم فى القرية ، فالمتعلمون يشاركون الفلاحين فى سلوكهم الذى يقال له سلوك تقليدى ، بمعنى أن سلوكهم ألصق بالتراث الخاص بالقرية • وهم يتزمتون بشأنه فى بعض الأحيان أكثر من الفلاحين أنفسهم بحيث يمكن القول أن المتعلمين فى القرى لا يتميزون عن الفلاحين الا فى مسائل مظهرية تتصل بالمظهر وأنماط الاستهلاك والاهتمام برموز المكانة •

وفضلا عن ذلك فان بكل قرية من القريتين عددا كبيرا من المتعلمين من كافة المستويات ، غير أنهم ليسوا جميعا أعضاء فى جماعات الصفوة • وهذا دليل آخر على أن هناك عوامل أخرى تعمل على منح القوة السياسية غير التعليم • وأهم هذه العوامل القوة الاقتصادية والسلطة والانتماء القرابى أو العمل التطوعى الذى يحدد رموز المكانة الخاصة بالصفوة •

على أننى لا بد أن أوضح نقطة هامة فى هذا الشأن • فقد يعتقد البعض أن التحليل الذى أقدمه هنا أميل الى التحليل الوظيفى الثنائى من حيث أنه يركز على ارتباط العوامل القرابية بالعوامل الاقتصادية والسياسية • ولكن مثل هذا الربط الوظيفى غير وارد فى هذا التحليل على الاطلاق ، الا بالقدر الذى يخدم فكرة تركز القوة السياسية واعتمادها على أسس غير الأساس التعليمى وحده • وأكثر من هذا فان هذا الربط بين العوامل يهدف أساسا الى بيان زيف الفرض الوظيفى الذى يؤكد على المواجهة البنائية بين التقليد والتحديث ، ومن ثم المواجهة بين صفوة تقليدية غير متعلمة وأخرى حديثة متعلمة • والذى نود أن نؤكده هنا مختلف تماما • فمن ناحية ، لا يعد التعليم مقياسا للصفوة الجديدة حيث كشف الواقع عن وجود عدد غير قليل من المتعلمين بين صفوف الصفوة القديمة • وهم ينضمون اليها بحكم انتمائهم الى الطبقة المسيطرة فى المجتمع الريفى (كبار الحائزين وكبار ملاك أدوات الانتاج) •

ومن ناحية اخرى ، فان الصفوة الجديدة التى تمثل موقف المعارضة من خارج الفئات المسيطرة تضم بين صفوفها بعضا من الفلاحين المستنيرين • هذا فضلا عن اعتبارين آخرين :

الأول : أن مجرد اتخاذ موقف وبداية الانضمام للصفوة الجديدة من جانب المتعلمين خاصة يرتبط ـ فى غالبية الحالات ـ بطموح طبقى ، أعنى اخـذ زمام القوة من أيدى الصفوة القديمـة وبالتالى احتلال موقع طبقى مرتفع •

الثانى : ان الذى يصعد وينضم بالفعل الى صفوف الصفوة القـديمة ـ سواء انضم الى الصفوة القديمة مباشرة أو انضم اليها من خلال موقف معارضة تحول بعده الى صفوفها ـ لا يحقق هذا الموقع من خلال التعليم فقط ، وانما من خلال عوامل أخرى مكملة أهمها اكتساب الثروة (من خلال النشاط الاقتصادى فى بعض المشروعات أو السفر للخارج) ومن خلال الرصيد القرابى (وهو يعمل هنا كواجهة لعائلته أمام العائلات الأخرى) أو من خلال العمل التطوعى داخل القرية (سواء تطوع لحل مشكلات من خلال الممارسة غير الرسمية أو تطوع لانشاء مشروعات فى القرية كبناء مسجد أو ترميم مدرسة أو وحدة صحيـة أو خلافه) •

وبناء على ذلك فان للعوامل الأخرى أهمية بالغة فى اكتساب صفة العضوية داخل جماعات الصفوة • وأول هذه العوامل هو عامل القوة الاقتصادية أو امتلاك الثروة • فمعظم أفراد الصفوة القديمة فى القريتين تنتمى الى شرائح من البرجوازية الزراعية ، التى تمتلك أعلى الحيازات أو تعمل بأنشطة اقتصادية متعددة أو كليهما معا • ويكشف الجدول التالى عن التوزيع الفعلى لحيازات أعضاء الصفوة (٧) •

---

(٧) هذه البيانات ليست من واقع سجلات الحيازة وانما تم جمعها من خلال صحيفة البيانات الأساسية السابق الاشارة اليها •

جدول رقم (٣)

التوزيع الفعلى لحيازات أعضاء الصفوة

فئات الحيازة	القرية الاولى		القرية الثانية		المجموع
	صفوة قديمة	صفوة جديدة	صفوة قديمة	صفوة جديدة	
لا يوجد ملكية	—	١	—	١	٢
أقل من فدان	٢	١	٤	٤	١١
١ — ٣	٤	٤	٨	٢	١٨
٣ — ٥	٨	—	٥	—	١٣
٥ — ١٠	٥	—	٤	—	٩
أكثر من ١٠	٦	—	٢	—	٨
المجمـوع	٢٥	٦	٢٣	٧	٦١

اذا قارنا بين حجم حيازات الصفوة القديمة وحجم حيازات الصفوة الجديدة ، لاتضح لنا على الفور أحد العوامل الاقتصادية وهى ملكية الأرض • فالأعضاء القلائل الذين ينتمون الى الصفوة الجديدة لم تزد ملكية اى منهم عن ثلاثة أفدنة ، بل أن هناك منهم من لا يمتلك أرضا على الاطلاق • وفى مقابل ذلك فان نصف أعضاء الصفوة القديمة تقريبا فى القرية الاولى يحوزون حيازات أكبر من ٥ أفدنة ونصف هذا العدد يمتلك أكثر من عشرة أفدنة • أما فى القرية الثانية فنصف أعضاء الصفوة القديمة يقلون فى فئة الحيازة من ٣ الى أكثر من عشرة أفدنة • وأهم من ذلك كله فان الذين يملكون أقل من فدان من أعضاء الصفوة القديمة فى القريتين (٢ فى القرية الاولى و ٤ فى القرية الثانية)، بل انه لايوجد بين صفوفهم من لا يملك أرضا على الاطلاق •

ولكن قد تبدو هذه الحيازات كلها ضئيلة على توزيعها هذا • وهنا لابد من البحث عن بعض المتغيرات الأخرى التى تعمل بجانب حيازة الأرض على تدعيم الموقف الاقتصادى للصفوة • وقد كشفت البيانات عن أن الحيازة لاتعمل بشكل مستقل ، وانما تضاف اليها أنشطة أخرى تدعم من المركز الاقتصادى للشخص الذى ينتمى الى الصفوة القديمة • ولقد حاولت أن اتعرف على الانشطة الاقتصادية المختلفة التى يمكن أن تكون مصدرا للدخل بالنسبة لأعضاء الصفوة • ولقد كشفت هذه المتابعة عن تعدد مصادر الدخل بالنسبة لاعضاء الصفوة القديمة من خلال تعدد أنشطتهم الاقتصادية كأعضاء فى الطبقة الثرية فى القرية على ما اشرت فى مكان سابق من هذا الفصل • وفى نفس الوقت فان أعضاء الصفوة الجديدة لا تتهيأ لهم الفرصة لهذا التعدد فى النشاط• وان مارس بعض أعضاء الصفوة الجديدة نشاطين فان وظيفته تكون احد هذين النشاطين ، واستثمار قطعة صغيرة من الأرض هى النشاط الثانى • ولقد تأكد لنا من خلال الجدول السابق أن معظم من يملكون أرضا من الصفوة الجديدة يمتلكون حيازات صغيرة أقل من ثلاثة أفدنة بل أن بعضهم لا يمتلك الا أقل من فدان أولا يمتلك على الاطلاق • ويوضح لنا الجدول التالى توزيع أعضاء الصفوة القديمة والصفوة الجديدة وفقا لتنوع أو عدم تنوع مصادر الدخل (تنحصر هذه المصادر فى : الأرض ، النشاط التجارى ، ملكية أدوات الانتاج ، ملكية السيارات الأجرة ، ملكية المواشى وتربية النحل ، وأخيرا الوظيفة الحكومية) •

جدول رقم (٤)

مصادر الدخل	القرية الاولى		القرية الثانية		المجموع
	صفوة قديمة	صفوة جديدة	صفوة قديمة	صفوة جديدة	
مصدر واحد	—	٢	—	١	٣
مصدران	٩	٤	٤	٦	٢٣
ثلاثة مصادر	٧	—	١٣	—	٢٠
اربعة مصادر	٥	—	٢	—	٧
خمسة مصادر	٤	—	٤	—	٨
المجموع	٢٥	٦	٢٣	٧	٦١

ويكشف الجدول السابق عن أنه لا يوجد بين الصفوة القديمة اى شخص له مصدر واحد للدخل ، بل ان معظم أعضاء هذه الصفوة فى القريتين لهم مصادر متعددة تتراوح بين ثلاثة وأربعة وخمسة مصادر (بلغ عدد أعضاء الصفوة القديمة فى القريتين داخل هذه الفئات ٣٥ عضوا بنسبة ٧ر٥٧٪ من مجموع أعضاء الصفوة القديمة والجديدة ، وبنسبة ٧٥٪ من مجموع أعضاء الصفوة القديمة فى القريتين) • وللباقى وعددهم ١٣ عضوا فى القريتين مصدران للدخل ، ولا يوجد أى فرد من اعضاء الصفوة القديمة له مصدر واحد على ما أشرت قبل قليل • وبالمقارنة فان أيا من أعضاء الصفوة الجديدة لا يتعدى المصدرين ، بل ان منهم ثلاثة فى القريتين ليس له الا مصدر واحد •

وبالرغم من أن الوظيفة تعد مصدرا للدخل ، الا أنها تعد أيضا أحد مصادر القوة حيث تمنح صاحبها قدرا من السلطة • فالذين يشغلون وظائف

من أعضاء الصفوة ترتبط أعمالهم بايقاع الحياة اليومية فى الريف ، فهم يعملون كمدرسين فى مدرسة القرية أو فى الجمعية الزراعية أو الوحدة المحلية • بل ان بعض هذه الوظائف ليست موجودة فى القرية • وهى فى هذه الحالة تصبح أكثر تأثيرا من الوظائف التى توجد فى القرية ، حيث يقوم أصحاب هذه الوظائف بتسهيل الخدمات للفلاحين ، ويعملون بمثابة حلقة الوصل بينهم وبين الوظيفة (٨) • ويكشف الجدول التالى عن توزيع أعضاء الصفوة حسب المهنة •

---

(٨) يجب ألا يتبادر الى الاذهان أن الوظيفة فى حد ذاتها تعد مصدرا للقوة ، فهى لا تعمل بمعزل عن العوامل الاخرى خاصة العوامل الاقتصادية • ولا شك أن الوظائف تتدرج حسب أهميتها وحسب درجة السلطة التى ترتبط بها • وتجدر الاشارة الى أن الفلاحين ينظرون الى الوظيفة الحكومية على أنها مصدر للسلطة وليست مجرد دور يؤدى • وتنسحب هذه النظرة على شاغل الوظيفة نفسه •

جدول رقم (٥)

المهنة	القرية الاولى		القرية الثانية		المجموع
	صفوة قديمة	صفوة جديدة	صفوة قديمة	صفوة جديدة	
مزارع	١٢	—	١١	—	٢٣
ناظر / مدرس	٢	٢	٥	٤	١٣
موظف	٦	٢	٥	٣	١٦
محامى/مهندس زراعى	—	١	١	—	٢
وظائف ادارية	٢	—	—	—	٢
أعمال حرة	٣	—	—	—	٣
عامل	—	١	١	—	٢
المجموع	٢٥	٦	٢٣	٧	٦١

وتكشف بيانات هذا الجدول عن أن اكثر من نصف الصفوة القديمة فى القريتين يعمل فى وظائف ترتبط بحياة القرية كالعمل فى الجمعية التعاونية والمدرسة ، بل أن بعض المزارعين انفسهم لهم مهن ترتبط بالسلطة كشيخ البلد والعمدة • ولكن بالرغم من ذلك نجد ان الصفوة الجديدة تشغل وظائف مشابهة دون ان تمتلك رصيدا من القوة • وهنا تظهر اهمية ارتباط العوامل المختلفة بعامل السلطة ، فاذا اختفت هذه العوامل أو بعضها يفقد عامل السلطة اهميته ، حتى وان كانت هذه السلطة سلطة العمدة أو الشيخ •

وهناك عاملان آخران قد يسهمان بجانب هذه العوامل فى تدعيم عضو الصفوة ، وهما القرابة والعمل التطوعى • ونعنى بالقرابة فى هذا السياق شيئين : اما أن يكون عضو الصفوة ابنا لأحد أعضاء الصفوة القدامى (ابن

عمدة او ابن شيخ بلد أو ابنا لأحد الافراد الذين مارسوا أثناء حياتهم تأثيرا بالغا على حياة القرية) • وفى هذه الحالة غالبا ما يكون الأب متوفيا والابن هو الذى يمثل امتداده داخل القرية • وهنا تنعكس قوة الأب ودرجة احترامه على قوة الابن ودرجة احترامه بصرف النظر عن تشابه الابن مع الأب • واما أن يمثل الشخص عائلته فى القرية ويتحدث باسمها • وبالرغم من وجود فروق فى نظام القرابة فى القريتين (٩) ، الا أنه ظهر اجماع هنا وهناك على أن بعض الافراد يترشحون فى المناصب السياسية لمجرد أن يكون « للعائلة شخص يمثلها أمام الناس » وفى الكثير من الأحيان يتنازل بعض المرشحين عن حقهم فى الترشيح لمجرد أن هناك قريبا لهم سوف يمثلهم جميعا • أما عامل العمل التطوعى فالمقصود به القدرة على المبادأة فى التطوع للعمل الخيرى **خاصة جمع النقود لبناء مسجد** • والشخص الذى يقوم بهذا النوع من النشاط ليس أى شخص ، وانما هو شخص يتمتع بمكانة داخل القرية • فالعمل الخيرى فى القرية ـ وكما كشفت الدراسة الميدانية ـ يمثل ضربا من السلوك السياسى الذى يدعم موقف الصفوة ، ويكسبها مزيدا من القوة ويعمل على استمرارها ، فضلا عن أنه يدعم رموز المكانة الخاصة بالطبقة • فالتبرع بنقود لانشاء أى شىء أو لعمل أى شىء لايكشف عن اعتقاد ـ عند القروى ـ فى حب الخير بقدر ما يكشف عن اهتمامه بأن تبرعه سوف يجعله أكثر احتراما ورهبة فى نظر الآخرين • وهذا هو السبب فى أن التبرع يحاط فى الكثير من الاحيان

---

(٩) تتمثل هذه الفروق فى أن القرية الاولى تنقسم الى ثلاثة مجموعات قرابية غير دموية تقوم على أساس سياسى أكثر من الأساس الدموى ، فى حين تنقسم القرية الثانية الى عائلات دموية متعددة من ناحية تجتمع كلها تحت ثلاث « حصص » بثلاثة مشايخ قرى (مشايخ القرى فى القرية الاولى عددهم ستة مشايخ) • أما الفرق الثانى فانه ينحصر فى أن النظام القرابى يقوم فى القرية الاولى على أساس التوازن وعدم سيطرة مجموعة على أخرى ، فى حين تكشف القرية الثانية عن ضرب من عدم التوازن بين المجموعات القرابية بحيث نجد أن أحد العائلات لها ثقل سياسى واجتماعى أكثر من العائلات الأخرى •

بقدر من الدعابة ويصبح موضوعا للثقافة الشفاهية المتداولة لفترة ، كما أن التبرع قد يتم ـ فى بعض الأحيان ـ علانية وأمام حشد من الناس (١٠) • وواضح من هذا الحديث المختصر عن عاملى القرابة والعمل التطوعى أنهما لا يعملان فى فراغ ، بل أنهما يكملان العوامل الأخرى ، ولا يأتى أى منهما قبل أى من العوامل السابقة خاصة العوامل الاقتصادية •

وتعمل كل هذه العوامل مجتمعة على أن يسيطر أعضاء الصفوة القديمة على النطاق السياسى فى القرية على مناصب السلطة السياسية وعلى التنظيمات السياسية ، وأن تجد الصفوة الجديدة مشقة بالغة فى الوصول الى هذه التنظيمات ، هذا اذا وصل أحد افرادها فعلا • فالصفوة القديمة هى صاحبة القوة والنفوذ فى القرية وهى بذلك تسيطر على قنوات اتخاذ القرار الرسمية، وغير الرسمية فى حين تفشل الصفوة الجديدة فى تحقيق حتى مجرد تأثير شديد على هذه القنوات • ويكشف عن هذه الحقيقة الجدول التالى الذى يوضح عضوية المنظمات الرسمية أو احتلال مركز سلطة سياسى داخل القرية أو احتلال موقع مؤثر دون عضوية أى من هذه المنظمات •

---

(١٠) لاشك أن ذلك يرتبط بالاطار الثقافى القائم الذى يطور ضروبا خاصة من مستويات التقييم والحكم على الاشخاص • ومستوى التقييم الذى يظهر هنا هو ارتباط المظهرية بالتعبير عن الاستقرار المادى •

جدول رقم (٦)

العضوية أو الموقع	القرية الاولى		القرية الثانية		المجموع
	صفوة قديمة	صفوة جديدة	صفوة قديمة	صفوة جديدة	
عضوية مجلس جمعية زراعية	٤	—	٥	—	٩
مجلس محلى / اتحاد اشتراكى	٨	٢	١٢	٣	٢٥
حزب وطنى					
مركز سلطة (عمدة ـ شيخ)	٧	—	٤	—	١١
ثقل سياسى	٦	١	٢	١	١٠
لا ينطبق	—	٣	—	٣	٦
المجموع	٢٥	٦	٢٣	٧	٦١

ويكشف هذا الجدول عن مدى سيطرة الصفوة القديمة على المنظمات الرسمية ومراكز السلطة . فليس هناك من بين أعضاء الصفوة القديمة فى القريتين من لم يشغل منصبا فى هذه المنظمات أو المراكز ومن لم يتمتع بثقل سياسى . أما الصفوة الجديدة فان نصفها تقريبا فى القريتين لم يشغل أى منصب رغم محاولات بعضهم الانضمام من خلال الترشيح ولكن كان نصيبهم الرسوب فى الانتخابات .

وتكشف البيانات الواقعية التى عرضناها حتى الآن عن أن بناء المجتمع هو الذى يحدد أيا من الافراد يصبح عضوا فى الصفوة التى تمارس القوة

الحقيقية ، وأى الافراد يعيش على هامش هذه القوة بالرغم من محاولتهم الدائبة لاكتسابها • فالبناء الاجتماعى يفرز من داخله ـ وعن طريق أقوى الجماعات الطبقية داخله ـ صفوة تعمل على تدعيمه واستمراريته على النحو الذى يدعم مصالحها ويدعم استمرارها فى تملك زمام القوة • والصفوة التى يفرزها البناء على هذا النحو ليست جماعة لها سمات مستقلة عن البناء ذاته، بل ان تركيبها يعبر عن تركيب البناء • فاذا كان البناء يقوم على تعددية اقتصادية وثقافية ، فان الصفوة التى تساهم بدور فى تدعيم البناء تتميز هى الأخرى بالتعدد•فهى متعددة الانشطة،متعددة الوظائف،غير متجانسة التركيب• وأعنى بذلك أنها تضم أفرادا من كبار السن ، ومن متوسطى السن ، ومن الشباب ، كما أنها لا تتجانس من حيث المظهر الثقافى فهى تضم أفرادا تختلف مظاهرهم الثقافية من حيث الملبس وأسلوب الحياة • فالمتأمل للأعضاء الذين يكونون جماعات الصفوة فى القريتين يجد أنهم يمثلون بحق صورة للتطور الاجتماعى للمجتمع المصرى • فهناك أولا جماعة العمد والمشايخ ذات التاريخ القديم ، وهناك ثانيا جماعة كبار السن من ذوى النفوذ الاقتصادى والتأثير السياسى وهم يرتبطون بالجماعة السابقة مباشرة ، وهناك ثالثا صفوة الطبقة الوسطى بعد تغيرات عام ١٩٥٢ خاصة فى فترة الستينات وتتكون من بعض المتعلمين ومتوسطى الفلاحين ، وهناك أخيرا الصفوة البرجوازية من الاغنياء الجدد الذين أفرزتهم السبعينات • غير أن الذى يجمع هؤلاء جميعا هو الموقف السياسى والاجتماعى •

ومن ناحية أخرى ، فان البناء الاجتماعى يفرز صفوة أخرى من داخل الفئات الاجتماعية التى لا يمكنها التنظيم الاجتماعى القائم من تحقيق قوة اقتصادية وسياسية • هذه هى الصفوة الجديدة التى تحاول أن تخترق حاجز القوة القائم وترغب فى أن تفعل شيئا من أجل البناء ، ولا أقول ترغب فى تغييره • ومن الطبيعى ألا يمنح البناء الاجتماعى هذه الصفوة أى قوة سياسية الا بالقدر الذى يكشف فيه عضو الصفوة الجديدة عن ميل نحو

المساومة مع الصفوة الأخرى المسيطرة على ما سنوضح فى الفصلين القادمين بالتفصيل • على أن تأثيرهم موجود على أى حال • وهم يكتسبونه من ميلهم الى العمل السياسى وسعيهم الى القوة أو انتقاد سلوك الصفوة القديمة • والصفوة الجديدة ـ بتشكيلها على هذا النحو ـ ليس لها القوة الاقتصادية التى تتمتع بها الصفوة القديمة : وليس لها نشاط متعدد أو مصادر متعددة للدخل • غير أن ذلك لا يعنى أنها أكثر تجانسا من الصفوة القديمة • حقيقة أن تركيبها يكشف عن تجانس من حيث الوضع الطبقى والموقف المعارض ، ولكنها تتباين فى داخليتها من حيث الموقف السياسى • فالصفوة الجديدة كما هى موجودة الآن تضم جماعتين غير متجانستين الى حد بعيد • ويمكن أن نسم الجماعة الاولى بأنها جماعة علمانية (١١) (الصفوة الجديدة التى ظهرت فى الستينات وظلت على موقفها أو بدأت فى التحول عن هذا الموقف) ، والجماعة الدينية التى أفرزتها حقبة السبعينات والتى بدأت تأخذ مكانها كصفوة جديدة فى الوقت الذى بدأت فيه الجماعة العلمانية فى التحلل على ما سيتضح فى فصل قادم •

وتجدر الاشارة أيضا الى انه يمكن أن نميز داخل كل صفوة من هاتين الصفوتين بين صفوة أساسية وصفوة تابعة • فلا يمكن القول بأن أعضاء الصفوة القديمة على نفس القدر من القوة • ففى كل من القريتين بعض الأعضاء ـ القلائل ـ فى الصفوة القديمة ليس لهم مكانة اقتصادية عالية مثل باقى أعضاء الصفوة • وهم ينضمون الى الصفوة بحكم مواقعهم السياسية التى يؤهلها لهم أعضاء الصفوة من الأقوياء • ووجود هؤلاء التوابع له مبرراته السياسية ـ من وجهة نظر الصفوة ـ وله أهدافه والتى أهمها سد الطريق

---

(١١) استخدام كلمة علمانية فى هذا السياق بتحفظ شديد ، فهى لا تكشف عن موقف أيديولوجى بقدر ما تعبر عن اتجاه غير دينى بصرف النظر عن علمانية أو عدم علمانية هذا الاتجاه •

أمام الصفوة الجديدة التى تود احتلال هذه الاماكن (١٢) • والتابع داخل الصفوة القديمة غالبا ما يكون تابعا أيضا من الناحية الاقتصادية لأحد الاعضاء الاقوياء (حيث يكون نشاطه الاقتصادى معتمدا على نشاط الآخر أو تكون مهنته مرتبطة بوجود الآخر) ، أو أحد أقاربه • أما التبعية داخل الصفوة الجديدة فانها تبعية من نوع آخر • انها تبعية فكرية أكثر منها تبعية اقتصادية • فقد اتضح اننا يمكن أن نميز داخل جماعتى الصفوة الجديدة بين قائد أو أكثر من قائد وبين توابع لهذا القائد أو هؤلاء القادة • فوضوح الفكرة والهدف هو المحك الذى تقوم عليه التبعية •

اذا كان التحليل السابق قد نجح فى أن يكشف لنا عن بعض الخصائص الموضوعية لجماعات الصفوة وعن العوامل الموضوعية المؤثرة فى تركيبها وعن نوعية هذا التركيب ، فاننا نكون قد وضعنا أيدينا على أهم محكات التوائد الى الصفوة القديمة،وأعنى امتلاك الثروة والسلطة•ولقد كشف الواقع فى القريتين عن أن كلاهما يؤدى بالضرورة الى الآخر • فمن خلال تتبع بعض الحالات اتضح أن تزايد امتلاك الثروة يؤدى الى مزيد من السلطة (والمقصود بها هنا الاستخدام الشرعى للقوة) وبالتالى مزيدا من القوة السياسية • فالشخص الثرى يصبح أكثر قدرة على ترشيح نفسه والانفاق على الدعاية واكتساب ود الآخرين (خاصة الانتخابات التى تأخذ الفرد الى موقع سلطة أعلى من مستوى القرية) ، بل أن أعضاء الصفوة الجديدة غالبا ما يواجهون صعوبات عندما يرشحون أنفسهم لأنهم لا يمتلكون من مصادر الثروة ما يضفى عليهم هيبة بين الناس • ومن الناحية الأخرى فقد كشف تتبع بعض الحالات عن أن الشخص الذى يحتل مركز سلطة غالبا ما يستخدمها لتحقيق أغراض

---

(١٢) هذا فضلا عن أنهم سوف لا يتخذون أى موقف معارض فى وجه العضو أو الاعضاء التابعين لهم • وهم يعملون بمثابة « سد خانة » دون أن يكون لهم تأثير يذكر فى عملية صنع القرار ذاتها •

شخصية تعود عليه بالثروة كان يسعى لترخيص محل تجارى أو مستودع دقيق أو الحصول على تسهيل فى الحصول على بضائع يتاجر فيها ٠

غير أن ذلك يثير فى الذهن تساؤلا هاما : اذا كانت الجوانب الاقتصادية للبناء الاجتماعى الريفى هى التى تشكل العامل الحاسم فى فرز أعضاء الصفوة المسيطرة لماذا تستمر هذه السيطرة بالرغم من وجود معارضة ولو طفيفة لها ؟ لا شك أن المسألة ترتبط ـ فى أحد جوانبها على الاقل ـ بمستوى وعى الجماهير ، وبمستويات التقييم الثقافى الموجودة لديهم ، أعنى مستويات تقييمهم للصفوة ، ودور الصفوة ذاتها فى تدعيم هذه المستويات ، التى تعمل على ما يبدو كأحد وسائل استمرار الجماعة المسيطرة ٠ ويحتم علينا ذلك أن نفصل الحديث عن تصورات الجماهير عن الصفوة ، وعن تصورات الصفوة عن أنفسهم ٠ فمن شأن ذلك أن يكشف لنا عن دور العوامل الثقافية والأيديولوجية فى تدعيم عملية التوافد الى الصفوة وفى استمرارها ، فضلا عن أنه سوف يلقى الضوء على نوعية الوعى السائد لدى الجماهير ٠

لنبدأ أولا بتصورات الجماهير عن الصفوة ٠ وهنا نجد أن تصورات الافراد للرجال الذين يسلمون لهم زمامهم تأتى على النحو التالى : أنهم أكثر الناس حكمة وأكثر الناس احتراما ، وبيوتهم ملتقى الجميع ومكان حل النزاعات ٠ ولدى الفلاحين اعتقاد بأن هناك من هم أكثر منهم قدرة على التعامل مع مشكلات الحياة ، ومن هم أدرى بمجريات الأمور وأقدر على فيمها ٠ ويؤمن معظم الناس بأن الحياة قائمة على مبدأ التدرج ، ولا توجد هنا فروق جوهرية بين المتعلمين وغير المتعلمين ٠ وتعكس آراء الاهالى فى الريف بعض خصائص الصفوة من وجهة نظرهم ٠ فقد كشفت الملاحظة والمقابلات التى أجريتها مع بعض الفلاحين عن بعض المعايير التى يقيمون من خلالها « أولى القوة » ، ويمكن أن نكتشف منها بسهولة خصائص الصفوة من وجهة نظر الفلاحين ٠

(أ) الشهامة أو الرجولة : فيقال للفرد فى القرية الاولى أنه « رجيل » بمعنى أنه يتحمل المواقف ويستطيع أن يتصرف فيها بحزم ، فضلا عن أنه يضحى بالمال والجهد فى هذه المواقف • وفى القرية الثانية يقال : ان هذا رجل « شهم » للتعبير عن نفس هذه المعانى • وفى مقابل هذا يوصف الشخص الخامل فى القرية الاولى بأنه « مثل الرجل القدامية لا تسك ولا ترفس »(١٣)•

(ب) القدرة على حل المشكلات التى تظهر فى الحياة اليومية للفلاحين • ويعنى ذلك القدرة على الوساطة بين الناس ، والمساهمة فى حل المشكلات التى تعرض لهم • ويطلق على الشخص من هذا النوع فى القرية الاولى « رجل قعدات » أو « رجل بلاد » • أما فى القرية الثانية فيطلق عليه «ديار» (الاشتقاق هنا من الدار والمقصود أن لديه القدرة على الجلوس لحل المشكلات) • والشخص من هذا النوع لا يقتصر دوره على المساهمة فى حل مشكلات قريته وانما يشارك ايضا فى بعض المشكلات التى تظهر فى القرى الأخرى • ويضفى الناس على الاشخاص الذين يتملكون هذه القدرة بعض الصفات فهناك الشخص « النذر » ـ الذى لا يوجد له مثيل الا فى النادر ـ وهناك الشخص « الفهلوى » ، وهناك الشخص « الرزين » وهناك الشخص « العاقل » ، وهناك الشخص « الفنجرى » ، وأخيرا هناك الشخص « اللى يقدر يوزن القعدة » •

(جـ) القدرة على تقديم خدمات شخصية أو التعامل مع المستويات الرسمية العليا وتخليص الاهالى من « الورطات » فى الوقت

---

(١٣) المقصود هنا رجل الحيوان الأمامية التى لا يستطيع أن يستخدمها فى « الرفس » أو السك « درجة عنيفة من الرفس » •

المناسب • ويحكى الفلاحون هنا عن مواقف كثيرة استطاع فيها بعض الافراد (من الصفوة) الاتصال بالمامور لكى لا يجعلهم يقضون ليلة فى قسم البوليس ، أو الاتصال بكاتب التجنيد لكى يؤجل طلبهم الى التجنيد الى حين الزواج او لفترة معينة ، أو تسهيل استخراج رخصة قيادة ، او بطاقة شخصية ، أو بطاقة تموين وغير ذلك • ومنطق الفلاحين فى ذلك أن هنـاك « عين تتكرم لها ألف عين » وأيضا « عشان الورد ينسقى العليق » • ويعتقد الناس فى قدرة هؤلاء على التحدث مع الموظفين الرسميين بطريقة تدل على الشهامة ، وبحيث يحترمه الطـرف الآخـر • ويحكى الفلاحون الكثير من القصص عن هذه المواقف ، ومعظمها منقول من أعضاء الصفوة أنفسهم ، مبالغ فيها فى الكثير من الأحيان •

(د) ومع ذلك ، فان لدى بعض الناس اعتقادا بأن هناك بعض الناس الذين يتعيشون على حل المشكلات أو الذين يتفرغون لهذا العمل أو يهوونه • وهذا التصور يوجد فى الغالب لدى بعض الافراد الذين يعتقدون أن لديهم من الخصائص ما لدى الصفوة وأن لا فـرق بينهم على الاطلاق من الناحية الشـخصية • واذا كان هناك فرق ، فانه يكمن فى أن أعضاء الصفوة « ناس فاضية » أو أنهم « اخدوا على كده » • وقد يتطرف البعض فى حكمه ـ كما حـدث بالفعل فى بعض الاحكام التى سـمعتها ـ الى حـد القـول بأن هؤلاء الناس يتعيشون على المشاكل أخذا بالقول الشهير « البلد اللى مفهاش منقـرة ملناش عيش فيهـا » (١٤) وقد وسم بعض

---

(١٤) المنقرة مشتقة من « النقار » ، و « النقار » فى القرية الاولى هو اللجاج أو الخلاف • وهذا القول ينسب الى العربى (البدوى) الذى يتعيش =

الناس أعضاء الصفوة بأنهم « الناس بتـوع الانتخابات » أو « هواة الانتخابات » • وكأن هناك بعض الناس الذين لهم قدرة خاصة على المناورة فى الانتخابات وعلى تحمل المشقات الخاصة بها •

(هـ) ويدرك بعض الناس مدى تمتـع أفراد الصـفوة بالاسـتقرار الاقتصادى وتملكهم لزمام السلطة فى القرية • فهناك من وجهة نظرهم ناس « أصحاب بلاد » • وتعنى هذه الكلمة الأخيرة أنهم المتحدثون باسم القرية ، وأنهم واجهتها أمام القرى الأخرى ، وأنهم يتملكون السلطة فيها منذ أمد بعيد سواء هم أو أجدادهم • ويستخدم الناس فى القرية الاولى كلمة « الجدور » لتشير الى أكثر الناس أصالة وأكثر الناس استقرارا فى الحياة وأكثرهم حظوة فى الرزق ، وان كانت « الجدور » توحى بأنهم أصحاب البلد أو أعمدتها • ولكن الكلمـة لا تسـتخدم بهـذا المعنى على اطلاقه ، وانما ترتبط بمعانى الأصالة والاستقرار ويسر الحال • ويقول البعض فى المقابل ــ ومع التغيرات التى طرأت على القرية فى العشرين سنة الماضية ــ « الجدور خوخت » أى أصابها العفن والتحلل • وبذلك أصبحت الكلمة تستخدم فى الجد والهزل فى آن • أما فى القرية الثانية فان هذه الكلمة لا تستخدم ، ويستخدم بدلا منها « الاسرة المالكة » أو « الأسرة الحاكمة » أو « العيلة المالكة » للاشارة الى العائلة التى تسيطر أو التى كانت مسيطرة • وتستخدم هذه المسميات لتشير الى ما تشير اليه كلمة «الجدور» وكلمة « الجدور خوخت » حيث ترتبط بالجدية فى بعض الأحيان والهزل والسخرية فى أحيان أخرى • ويشير ذلك الى التغير الذى

= على التحكم فى المجالس العرفية : فليس له عيش الا فى البلد التى بها مشكلات يمكن أن يحكم فيها •

قد يكون طرأ على تصور الفلاحين لعلاقات السلطة والقوة القائمة ٠

ويبدو أن بعض الخصائص التى تضفيها الجماهير على الصفوة منقولة اليها من الصفوة ذاتها ، ومن خلال الثقافة الشفاهية التى تجنح الى المبالغة ٠ فلدى أعضاء الصفوة أنفسهم اعتقاد بأنهم أكثر من الآخرين قدرة على حل المشكلات ، وأكثر منهم قدرة على التعامل مع السلطات العليا ٠ ولقد حكى أعضاء الصفوة فى القريتين قصصا عن مواقف لهم مع الضابط وطبيب الوحدة ومأمور المركز ٠ ومحور هذه المواقف التدخل لحسم مشكلة تتعلق بأحد أفراد القرية ، أو تخليصه من « ورطة » وقع فيها ، أو اعجاب الطرف الآخر به وبجرأته (١٥) ٠ كما يتحدث أعضاء الصفوة كثيرا عن المتاعب والمصاعب التى يلاقونها فى الخدمات التى يقدمونها للناس وللقرية بصفة عامة ، قائلين فى كل مناسبة « يعنى احنا واخدين الا التعب » ، أو « احنا دايما بندفع من جيوبنا » ٠ وكثيرا ما يكون لكل عضو من أعضاء الصفوة مجموعة من المناصرين أو التوابع (غالبا من أصحابه أو أقربائه من ذوى المستويات الاقتصادية الادنى) ٠ وهم غالبا ما يتحدثون بكل ما يتحدث به بومى أو بغير وعى وينقلونه الى الناس ، ويتشدقون بأقواله ، ويفخرون بأنهم على صلة وثيقة به ، أو أنهم من أقاربه ٠ وفى معظم الاحيان يبالغون فيما يقولون ، ويقارنون بينه وبين نظرائه ، ويسردون مواقف له فى مقابل مواقف للآخرين لكى يخلقوا تبريرا لما يصفونه به ٠ ولا شك فى أن هذا يرتبط بمستويات الوعى لدى الناس فى القرى والدور الذى تلعبه هذه الثقافة الشفوية فى تزييفه ٠

ولا تخلو تصورات الصفوة الجديدة عن أنفسهم من بعض هذه الأمور ، غير أن تصورهم عن أنفسهم يتجه نحو تأكيد كونهم أفضل من الصفوة

---

(١٥) ويبالغ الفرد من الصفوة فى هذه الروايات ، وهى تقال على مسمع من الناس الذين يوافقونه على ما قال وان كان بعضهم يعرف بأنه مبالغ ويصرح بذلك فى غيابه ٠

القديمة وأكثر كفاءة واخلاصا • فهم ينتقدون كبار السن لأنهم « عفى عليهم الزمن » وان كانوا يكنون لهم احتراما • وهم ينتقدون نظراءهم من الصفوة القديمة لأنهم استغلاليون ووصوليون لا تهمهم مصلحة الناس بقدر ما تهمهم مصالحهم الشخصية كما أنهم يحملون بعض التصورات التى تطورها القطاعات المستنيرة من الجماهير عن الصفوة المسيطرة من حيث أنهم ينظرون الى بعض أعضائها على أنهم يتخذون من سيطرتهم على المنظمات الرسمية أسلوب حياة أو بالأحرى « يتعيشون عليها » •

ويمكن أن نستخلص من العرض السابق بعض النتائج نلخصها فيما يلى :

١ ـ أن بعض تصورات الجماهير عن الصفوة تكشف عن ضرب من الوعى الزائف ، وعن مستويات مشوهة للتقييم الثقافى •

٢ ـ أن التشابه بين حكم الجماهير على الصفوة وبين حكم أعضاء الصفوة عن أنفسهم يكشف عن وجود قنوات للاتصال الشخصى توجهها الصفوة المسيطرة لتدعيم هذا الوعى الزائف ، كما يكشف من ناحية أخرى عن أن كليهما يخضع لنفس المؤثرات الثقافية •

٣ ـ يترتب على هذا الحقيقة التى مفادها أن هذه الأحكام تمثل جانبا من نسق ثقافى يتعايش مع أشكال الانتاج القائمة وما تفرضه من علاقات للقوة ، ويساعد على استمرار هذه الاشكال وتلك العلاقات • فالاعتقاد بأن هناك أشخاصا أفضل وأكفأ من نظرائهم ، وما تحاط به أفعال الصفوة من تهويل ومبالغة يؤدى الى سيطرة طويلة الأمد لافراد معينين على النطاق السياسى ، أو بعبارة أكثر دقة يؤدى الى عدم احداث تغير جوهرى فى بناء القوة القائم بصرف النظر عن الافراد •

٤ ـ يؤدى ذلك الى هامشية محاولات الصفوة الجديدة نحو تغيير هذا

البناء ، أعنى بناء القوة • فليست الصفوة القديمة وحدها هى التى تقف فى وجه الصفوة الجديدة ، وانما تقف بجانبها قطاعات عريضة من الجماهير ذات الوعى الزائف •

والسؤال المطروح الآن ـ وهو سؤال تفرضه المناقشة السابقة ـ هو : ما هى نوعية الوعى السائد عند جماعات الصفوة ؟ نجيب على هذا السؤال فى الفقرة القادمة •

ثالثا : الوعى الاجتماعى لدى جماعات الصفوة

لا شك أن الوعى بالمصالح يمثل أحد العناصر الهامة فى البناء الثقافى القائم • ويمثل وعى الصفوة أهمية خاصة نظرا للدور الذى يمكن أن يلعبه فى اعادة انتاج المجتمع • والواقع اننا لا نتصور هنا فصلا بين الجوانب الثقافية للمجتمع وبين مستويات الوعى ، فتلك الأخيرة ما هى الا أحد الجوانب الثقافية الشائعة • وبناء على ذلك فانه من المتوقع أن تتشكل مستويات الوعى فى ضوء العناصر الثقافية الشائعة • غير أن ذلك لا يطرح فكرة انفصال الوعى والثقافة عن الأطر الاقتصادية السائدة ، والتركيب الطبقى السائد • غير أن ذلك لا يهدف أيضا الى تأكيد أن الوجود هو الذى يحدد مستوى الوعى، فتلك معضلة نظرية ومنهجية تحتاج الى حسم فى ضوء الخصوصية التاريخية للمجتمع المصرى يتجاوز أهداف الدراسة الحالية •

غير أن المشكلة الحقيقية فى دراسة الوعى فى الريف هى مشكلة تصنيف مستويات الوعى ، خاصة تلك التى تنتشر بين فئات الصفوة المختلفة • ولا تدعى هذه الدراسة لنفسها تقديم حل لهذه المشكلة • ولكنى سوف أحاول أن أصنف مستويات الوعى لدى فئات الصفوة فى شكله الامبيريقى دون وضعه فى « مقولات » محددة • على أن ذلك لا يجب أن يجعلنا نتجاهل الحديث عن سمة أو مجموعة من السمات التى تميز هذا الوعى ، والتى تنتج عن وضعه فى أشكاله الامبيريقية •

ولقد كانت الوسيلة المنهجية للكشف عن أشكال الوعى الاجتماعى عند فئات الصفوة المختلفة هى أن نتعرف ـ من خلال المقابلات والمناقشات التى أجريت مع أعضائها ـ على وجهة نظرهم فى أسباب المشكلات التى يعانى منها المجتمع المصرى بعامة والريفى بخاصة ، وتصورهم لحل هذه المشكلات . ولقد مكنتنا هذه الوسيلة من أن نتجاوز التعريف الذاتى للوعى الذى يربط بين الوعى وادراك الفرد للمواقع الطبقية داخل التدرج الاجتماعى وبدرجة اكتسابه للثقافة الحديثة (وما يرتبط بها من انفتاح على العالم وتقمص وجدانى) . بل ان النتائج التى توصلنا اليها هنا تشير الى أن الثقافة الحديثة ـ بالشكل الذى تكتسب به ـ لا تساهم فى تحديد درجات الوعى بقدر ما تساهم فى طمسها . وبناء على ذلك فان الوعى الذى نقصده هنا هو الوعى بالمصلحة ، وبالموقف الطبقى فى مقابل الطبقات الأخرى ، وبادراك العوامل الفاعلة فى البناء الاجتماعى .

والافتراض المطروح هنا هو أن وعى الصفوة يتسم بعدم التحديد والوضوح . والمقصود بعدم التحديد هنا أنه متناقض وباهت بحيث يصعب تصنيفه وفق أى مقولات معروفة للوعى الا بشكل تعسفى . ويرتبط ذلك بخصوصية البناء الاجتماعى للمجتمع الريفى الذى يعرف شكلا من أشكال التعددية الاقتصادية والثقافية ، والذى يخضع بصفة مستمرة لاشكال متعددة ومتناقضة من أساليب الدعاية والمذهبة السياسية النازلة من السلطة المركزية، عبر قنوات وسائل الاعلام . فمن المتوقع ألا يكون الشخص الذى يتعرض لمؤثرات مختلفة ومتناقضة رؤية محددة ، خاصة اذا كان من مصلحته استمرار الأمور على ما هى عليه .

وفى محاولة للتدليل على مدى صدق هذا الافتراض ، نعرض فيما يلى لبعض الاشكال الامبيريقية للوعى عند فئات الصفوة كما كشفت عنها الدراسة الميدانية ومن خلال الأسلوب المنهجى السابق الاشارة اليه .

نستطيع أن نميز داخل جماعة الصفوة القديمة بين أربع جماعات تحمل كل منها شكلا معينا من اشكال الوعى :

١ ـ جماعة العمد والمشايخ وكبار السن والفلاحين المتأثرين بهم أو الذين يعتبرون امتدادا لهم • ويتشتت وعى هؤلاء بين حبهم للمجتمع القديم ومعيشتهم فى مجتمع مغاير • فبعضهم يرى أن الدنيا قد تدهورت وأننا نعيش فى « الزمن الذى تحدث عنه حسان اليمانى » (١٦) • أى آخر الزمان الذى يصبح فيه الندل سيدا • فقد تعلم « السفلة » العلم ، وأصبح كل شخص له رأى • هذا فى رأيهم هو سبب كل المشكلات التى يعانى منها المجتمع • أما تصورهم لحل هذه المشكلات فانه يكشف عن خليط من الرجوع للدين والأصالة « أيام زمان اللى ما تتعوضش » • غير أن هؤلاء قد أكدوا أيضا على مسائل أخرى تكشف عن مدى تأثرهم بتوعية الثقافة الحديثة السائدة • من ذلك مثلا القول بأن تطوير القرية يتم من خلال « التوعية » أو من خلال « رصف شوارع القرية وتنظيمها » ، واختيار من يمثلون الفلاحين « من نوعيات معينة » •

٢ ـ المتعلمون ـ أو غير المتعلمين ـ من ذوى الاتجاه الدينى • وهؤلاء يرجعون معظم مشكلات المجتمع الى ترك الدين وترك تعاليم القرآن والسنة • ولكن بسؤال هؤلاء عن امكانية تحقيق ذلك اتضح أن بينهم قدرا من التباين يتأرجح بين رؤية تظهر فيها الايديولوجية الدينية واضحة ، ورؤية تخلط بين الدين الشعبى والدين الرسمى وبعض الأمور الحديثة • وليس من قبيل الصدفة أن نجد عند هؤلاء حنينا الى الماضى مثلهم مثل الجماعة السابقة ، الأمر الذى يجعلهم أكثر توافقا معهم فى سلوكهم وعلاقاتهم •

٣ ـ المتعلمون : وهم أكثر الفئات من حيث عدم التحديد وعدم الوضوح ربما

---

(١٦) كما ورد فى السيرة الشعبية لابى زيد الهلالى •

لأنهم خضعوا أكثر من غيرهم لمؤثرات عديدة متناقضة • فنجدهم يتشتتون بين رؤى متعددة • فهناك بعض المتعلمين الذين ينتمون — بشكل أو بآخر الى الفئة التى كان لها وزن سياسى فى حياة القرية فى الماضى • وبرغم صغر سنهم وعدم خبرتهم بهذا الماضى الا أنهم أقرب الى الفئة الاولى من حيث مستوى وعيهم • فهم يرون أن السبب الحقيقى فيما يعانى منه الريف من مشكلات يرجع الى أن الزمان غير الزمان • فقد تقلص « دور أولاد الناس » ، و « الناس كترت » ، وتحولت الدنيا الى « سيرك » • ومع ذلك فانهم يعتقدون أننا نعيش زمنا أفضل من الزمن السابق (عهد عبد الناصر بالتحديد) الذى أتى لنا بكل هذه المشكلات • والطريق الى التغلب على مشكلات المجتمع وتنمية الريف هو أن تعطى المسئولية الى « أولاد الناس » ، لأن الشخص الذى ينحدر من « أصل كويس » غير الشخص الذى ينحدر من « أصل واطى » • ولكن هناك بعض المتعلمين الذين لا ينتمون الى هذه الفئة ولكنهم اكتسبوا سلطة ونفوذا خلال السنوات الماضية • وهؤلاء لا يكشفون عن وعى محدد • فتفكيرهم مشتت بين الوعى الدينى والوعى المكتسب من وسائل الاعلام • فهم تارة يقولون أن السبب فيما نعانى منه من مشكلات هو « عدم الالتزام بالدين والاخلاق » ، وتارة يقولون أن السبب هو أن « القيادات الشابة لا تجد مكانها الصحيح » ، وتارة ثالثة يتحدثون عن « الحقد » الذى استشرى بين الناس ، وتارة رابعة عن انعدام « الضمير » • وبعض هؤلاء يرى أنه لا توجد مشكلات فى القرية الا مشكلة « معاناة الموظفين » • ومال بعض هؤلاء الى الربط بين هذه المعاناة وبين ما مرت به مصر من حروب ، أو موقف البلاد العربية بعد اتفاقية السلام حيث قطعت المساعدات ، والتى عوضت أمريكا جزءا منها • ومن المتوقع أن ينعكس هذا المستوى من الوعى على تصورهم لحلول المشكلات الخاصة بالريف • فهم أكثر ميلا الى فكرة « التوعية » سواء السياسية أو الدينية ، خاصة وأن التليفزيون

قد أصبح منتشرا فى القرية الآن • ولكن بعضهم يقول « احنا زعقنا من التوعية ، عايزين الضمير ، وعايزين ان الشباب يشترك ويتحمل المسئولية لأن هم الامل والمستقبل » • وقد تحدث أحد أعضاء الصفوة من القرية الثانية عن ضرورة « التوفيق بين جهود الشباب وحماسهم وخبرة كبار السن لأن فيهم الخير والبركة » هكذا يظهر مستوى الوعى عند هذه الفئة اقل تحديدا واكثر تناقضا •

٤ ـ الاغنياء الجدد : هذه الفئة من الصفوة القديمة اكثر وعيا من اى فئة أخرى بمصالحها الطبقية ، ويتوافق موقفها توافقا شبه تام مع موقف « صفوة القوة » على المستوى القومى • فهم يعتقدون أن الأمور تسير على ما يرام وأنه لا توجد مشاكل كبيرة ، وأن الناس الآن « مبسوطة » اكثر من أى وقت مضى • وهم يؤكدون هذا من خلال ضرب أمثلة بارتفاع أجور العمال الزراعيين الذين يحصل كل منهم على جنيه أو أكثر فى اليوم ، وكذلك بوجود فرص للعمل والكسب • ولكن الدنيا لا تخلو من مشاكل على أى حال • والمشكلة الأساسية من وجهة نظرهم « ان فيه شوية حقد بدأوا يظهروا فى البلد » ، وان فيه « شلة مش عاجبها أى حاجة » • ويعتقد هؤلاء أن أى معارضة لهم ولنشاطهم لا تنبع من مصلحة الطرف المعارض ، وانما تنبع من « حقده » ومن « حبه للمعارضة من أجل المعارضة » • فقد قال أحدهم عندما قلت له أن المعارضة قد تنبع من مصلحة : « مصلحة ايه الحقد موجود فى النفوس والناس بتعارض وخلاص » • وينطلق تصورهم لحل كل المشكلات من هذا الاعتقاد • لابد أن يترك الناس الحقد ، ولابد أن يتسلحوا بالايمان ، وأن يفسحوا المجال للذى يريد ان يخدم وأن يتحمس • فلا يجب أن يتقدم بشكاوى كثيرة ، ولا يجب أن يروجوا للاشاعات غير الصحيحة • ويتحدث بعضهم عن ضرورة « نشر الوعى» من خلال التليفزيون والراديو • ويتحدث بعضهم أيضا عن ضرورة ضبط الاسعار ، وتسهيل الحصول على المواد التموينية •

والملاحظ من خلال هذا الوصف انه بالرغم من أن وعى الصفوة القديمة يعكس موقفها الاجتماعى ووضعها الطبقى ، الا أنه غير محدد ، وغير متجانس فيما يتعلق بفئاتها المختلفة • ويظهر عدم تحديده فى شيئين : الأول : أنه غير متجانس بالنسبة للفئات المختلفة ، وأحيانا بالنسبة للفئة الواحدة ، الثانى : انه يتشكل فى جانب كبير منه عن طريق وسائل الاعلام ، هذا فضلا عن أنه يخضع لمظاهر تحيز عديدة ينبع بعضها من الثقافة الشائعة وبعضها الآخر من الوعى الطبقى •

ولكن ماذا عن أشكال الوعى عند الصفوة الجديدة ؟ لاحظنا خلال هذا الفصل أن الصفوة الجديدة تنقسم الى فئتين : فئة علمانية وأخرى دينية • ونعرض فيما يلى لمستوى الوعى عند هاتين الفئتين كما ينعكس فى تصوراتهم عن المشكلات الاجتماعية للقرية وعن حلول هذه المشكلات :

١ ـ الجماعة العلمانية : خضعت الجماعة العلمانية من الصفوة الجديدة لتغير فى تركيبها الاجتماعى والفكرى خلال السنوات الماضية ، وهو موضوع سنفصل فيه الحديث فى فصل قادم من هذه الدراسة • ولكن نؤكد هنا أن هذا التغيير قد أثر على مستوى الوعى عند بعض أفرادها • وقد كشف تتبع مستوى الوعى عند هذه الفئة أننا يمكن أن نميز داخلها بين فئتين فرعيتين : فئة تكشف عن وعى محدد وان كان يتصف بازدواجية ظاهرة ، وفئة لا تكشف عن نفس درجة التحدد والوضوح الايديولوجى •

بالنسبة للفئة الفرعية الاولى اتضح أن وعيهم يعكس موقفا ايديولوجيا واضحا • فعند سؤالهم عن أسباب المشكلات التى تعانى منها القرية تحدث البعض فى القرية الاولى عن الظلم الواقع على كاهل الفلاحين خاصة الفقراء منهم • كما تحدثوا عن الاهمال الذى تحظى به القرية • فلا أحد يهتم بالقرية ولا بمشكلاتها • والفلاحون عليهم أن يزرعوا ويحصدوا المحاصيل التى

تأخذها الجمعية دون عائد مجزى • كما تحدث أحدهم عن « الجهل ، والفقر والمرض » (١٧) • الذى يؤدى الى عجز الفلاح ويذهب أحد أعضاء الصفوة الجديدة فى القرية الثانية الى أبعد من ذلك عندما ذكر أن « الرأسمالية الوضيعة » هى السبب فى كل ما نعانى منه من مشكلات • فهى تتيح للشخص الثراء بأى وسيلة حتى وان كانت وسيلة غير مشروعة ، الأمر الذى يجعل بعض الافراد القلائل يثرون من استغلال الناس • ولكن عندما نسأل الاعضاء ـ الذين يكشفون عن هذه الدرجة من الوعى من الصفوة الجديدة ـ عن تصورهم لحل هذه المشكلات نجد أن رأيهم لا يتسق كثيرا مع رأيهم فى أسباب هذه المشكلات ، الأمر الذى يكشف بدوره عن ازدواجية الوعى عند هذه الجماعة • فقد أجمع هؤلاء فى القريتين على حل اصلاحى دينى مع اختلاف الوسيلة • ففى القرية الاولى التأكيد على دور رجال الدين المخلصين الذين يبرزون مشكلات المجتمع ومظاهر الخلل فيه • وهم على يقين من ان استمرار هذا النقد الاجتماعى الذى يقدمة رجال الدين (من أمثال الشيخ الشعراوى والشيخ عبد الحميد كشك) سوف يؤدى الى تغيير المجتمع وسلوك الناس على المدى الطويل ، ذلك لأن النقد يتم مع تقديم « المثل الاعلى » للمجتمع • أما فى القرية الثانية فقد ظهر حديث عن ضرورة وجود ايمان قوى وضرورة وجود قيم تحكم سلوك الناس •

أما الفئة الفرعية الأخرى من الجماعة العلمانية فانها لا تذهب هذا المذهب ولا يتسم وعيها بهذه الدرجة من التحديد • فبالرغم من تأثرهم بآراء الفئة السابقة ، وبالرغم من نقدهم لاوضاع الريف وعدم رضائهم عنها ، الا أنهم لا يربطون بين المشكلات الخاصة بالريف والمشكلات القومية على النحو الذى ظهر عند الفئة السابقة • فهم يعزون مشكلات الريف الى الجهل ، وانتشار الأمية ، والى انعدام الضمير ، ويتصورون الحل فى نشر التعليم ، واصلاح نظامه ، ونشر الوعى الذى يصلح الضمير •

---

(١٧) يلاحظ هنا تأثير فترة الستينات حيث ظهر شعار رفع « الجهل ، والفقر ، والمرض » عن الفلاحين •

٢ ـ الجماعة الدينية : وهى فئة من المتدينين المتطرفين من الشباب وينضم اليهم بعض متوسطى العمر من المشتغلين بأمور الدين الرسمى (مدرسين أساسا) • وهؤلاء ينتقدون المجتمع فى كل شىء • ولا يعجبهم أى شىء بدءا من سلوك الناس وحتى انتشار الأشياء « المفسدة » كالتليفزيون ، فضلا عن انتشار البدع التى لا يوصى بها الكتاب أو السنة والتى تنتشر عند المتصوفين وعند القائمين على شئون الدين فى القرية ممن لم يتلقوا تعليما كافيا • وينظر هؤلاء الى مشكلات المجتمع نظرة دينية : فالسبب الرئيسى فيها أن الناس قد تركت دينها وتركت كتاب الله وانحرفت فى تيارات عديدة • وهم يربطون فى هذا بين وجود نظام علمانى للحكم وبين وجود هذه المشكلات ، الأمر الذى يكشف عن وضوح الأيديولوجية الدينية ، أعنى الجانب السياسى فى الاسلام • ولكن تصورهم لحل هذه المشكلات وسلوكهم العملى يكشف عن ازدواجية واضحة • فلابد للقيادة الدينية أن تجد لها مجالا، ولابد من نشر الوعى الدينى بين الناس لكى يتخلصوا من البدع التى انتشرت فى القرى خاصة : البدع الصوفية والسلوك المرتبط بالخرافات والذى يشجعه نصف المتعلمين من المتدينين (أئمة المساجد وقراء القرآن وغيرهم) • ولهذا فان نضالهم فى القرية لا يتجه نحو الغاية التى تحددها الأيديولوجية السياسية الاسلامية ، وانما يتجه نحو محاربة الصوفية ومحاربة الأئمة التقليديين للمساجد ومحاربة الخرافات • ويركزون هنا على أمور شكلية بحتة خاصة بطريقة الأذان أو القاء السلام أو طريقة الوضوء أو طريقة ختام الصلاة • انهم باختصار يحاولون أن يفهموا الناس أنهم أكثر دراية بالدين الصحيح من غيرهم • والازدواجية تنبع هنا من أن فكرهم يبدو سياسيا بالدرجة الاولى ، ولكن سلوكهم يتجه وجهة دينية متطرفة ـ فى الشكل أكثر من المضمون ـ تقضى على ما فى الفكر الدينى من سياسة • والدليل على ذلك أنهم بالرغم من انتقاداتهم للصفوة القديمة ومعارضتهم لها ،

الا انهم لا يميلون الى ادخال انفسهم فى سياسة القرية بشكل مباشر. وهم ان دخلوا فانهم يدخلون فقط من وراء ستار .

والواضح هنا أن وعى الصفوة الجديدة أكثر تحديدا من وعى الصفوة القديمة ، وان كان يكشف هو الآخر عن ضرب من التعددية بين الفئات المختلفة وأعنى ازدواجية داخل الفئة الواحدة .

ويمكن أن نستخلص من الوصف السابق لأشكال الوعى عند الصفوة بعض النتائج :

١ ـ أن وعى الصفوة ـ خاصة الصفوة القديمة ـ لا يتميز كثيرا عن وعى الجماهير فكلاهما يخضع لنفس المؤثرات الاجتماعية ، وان كانت الصفوة تميل بشكل اكثر وضوحا الى تأكيد مصالحها ، مع تباين درجة التأكيد على هذه المصالح .

٢ ـ يتسم الوعى لدى معظم فئات الصفوة بعدم التحديد ، وتزداد درجة عدم التحديد بتزايد خضوع الفرد للعديد من المؤثرات المتناقضة ومع ذلك فان هناك بعض الفئات التى تكشف عن وعى محدد ، غير أن هذا الوعى يظل عند مستواه الامبيريقى ولا يتحول الى وعى ممكن طالما انه يكشف عن قدر من التناقض أو الازدواجية .

٣ ـ أن تباين وتعدد أشكال الوعى عند جماعات الصفوة يرتبط ـ بلا شك ـ بالتعددية الضاربة بجذورها فى البناء الاقتصادى والثقافى للمجتمع ، وبالتالى بعدم تبلور التكوين الاجتماعى القائم وعدم تحدد معالمه .

٤ ـ أن الازدواجية الكامنة فى وعى أعضاء الصفوة الجديدة وعدم الوضوح الكامن فى وعى بعض أعضائها الآخرين يمكن أن يفسر فى ضوء عدم استمرارية هذه الصفوة وعدم تبلور نضالها وتحديده ، الأمر الذى يجعلها فى موقف يشعرها « بعدم الأمن » يدفعها الى أن تمسك العصا

من الوسط • فلا هى تجنح الى موقف راديكالى واضح ولا هى تترك الموقف المناقض ، فربما تواتيها الظروف التى تجعلها تنقلب فى صف هذا الموقف المناقض • ويرتبط ذلك ـ بلا شك ـ بما سنتحدث عنه فيما بعد فيما يختص بتحول مواقف الصفوة الجديدة •

٤ ـ تنعكس تناقضات البناء الاجتماعى على وعى الصفوة ، فيظهر هو الآخر متناقضا • ويتبدى التناقض فى التناقض داخل وعى كل صفوة على حدة ، والتناقض بين الصفوتين • ان تعددية البناء الاجتماعى وتناقضاته تخلق هنا تعددية لوعى متناقض •